الفصل الخامس

التدابير المتخذة لمنع توطين اليهود في فِلِسْطين

obeikandl.com

obeikandl.com

١- التدابير المتخذة في عَهْد السلطان عبد الحميد الثاني

اتخـذت الإدارة العثمانيّة بعض التدابيـر الوقائية مـع التزايد التدريجيّ فـي أعداد اليهود الراغبين بالاسـتيطان في فِلِسْـطين، وظهـور النية لإقامة دولة يهودية هناك.

وقد اتخذت الإدارة العثمانيّة قرارًا بالسماح للحجاج ورجال الأعمال اليهود فقط في دخول فِلِسْطين بدءًا من عام ١٨٨٢م، إلا أن اليهود استطاعوا خَـرْق هـذا الحَظْر من خلال لبـاس زيّ الحجاج ورجـال الأعمال، وبناءً علـى هذا طلـب حاكم القُدْس رؤوف باشـا من الحكومـة العثمانيّة زيادة التدابير، ومن ثمّ فقد حُظر دخول رجال الأعمال اليهود إلى فِلِسْطين وفْقًا لقانون صدر في عام ١٨٨٤م؛ وذلك بحجة أن الامتيازات سـارية بالنسـبة للمناطـق التجاريـة فحسـب، وأُبلـغ الحجـاج اليهود بضـرورة حصولهم علـى تأشـيرات دخـول على جوازات سـفرهم من القناصـل العثمانيّة في بلادهم، وسُـمح لهم بالدخول لمدة شـهر واحد فقط شـريطة أن يدفعوا تأمينًا ماليًّا يُجبرهم على مغادرة فِلِسْطين، غير أن الدُّوَل الأوروبية مارست ضغوطها بحجة أن مواطنيها يتخللون هؤلاء اليهود الوافدين إلى فِلِسْطين، وأنه سيتعذّر تطبيق هذه القيود نظرًا لما تقتضيه الامتيازات الممنوحة لها؛ ونتيجة لتلك الضغوط سُـمح لليهود بدخول منطقة فِلِسْـطين بدءًا من عام ١٨٨٨م شـريطة ألا يأتوا فـي صورة مجموعات، ونُبِّه بأنَّه سـتُطبّق القيود والحَظْر في حال حدوث هجرات كبيرة العدد؛ ومن ثم بدأت هجرة اليهود من جديد في صورة ثلاث أو أربـع عائلات في كل مرّة.

وقد تسبّبت هجرة اليهود وتوطُّنهم في فِلِسْطين في تقدُّم عديد من المؤسسات والأشخاص بكتب وتقارير إلى الإدارة المركزية لمَنْع هذه الهجرات، واتخاذ التدابير اللازمة لتزايد استيطان اليهود في فِلِسْطين.

وكانت التقارير الأمنية الواردة من الجنود تُطالب بحَظْر هجرة اليهود بشكل قاطع، وفي تقرير مجلس النواب بشأن اليهود الأجانب -وهم أربعمائة وأربعون شخصًا- الوافدين إلى حيفا، قامت اللجنة العسكرية بتقديم تقرير إلى السلطان جاء فيه:

"إذا رفضت الدَّوْلة العثمانيّة طلَب اليهود بالتوطُّن في أراضيها والدخول في تبعيتها، فهذا ليس عذرًا لأفكارهم ضدّ الدَّوْلة العثمانيّة؛ لأنه لا يحقّ لليهود ولا للدول التي نفَتْهم من بلادها أن التطاول على الدَّوْلة العثمانيّة.

والسبب في عدم قبول الدَّوْلة العثمانيّة لليهود أنهم سوف ينزحون تدريجيًّا من الأماكن التي أسكنتهم فيها الدَّوْلة العثمانيّة ثم يجتمعون في فِلِسْطين، ويحاولون تشكيل حكومة يهودية فيها؛ وذلك بتشجيع من الدُّوَل الأوروبية لهم وبحمايتها، وحتى لو لم يحدث هذا الخطر فإنهم لن يعملوا بالزراعة في الأماكن التي يُوطّنون فيها، بل سيسعون للإضرار بأهالي تلك المناطق كما فعلوا في البلاد الأخرى.

(٤ آب/أغسطس عام ١٨٩١م) ".[١٥٠]

وفي هذا التاريخ أيضًا ورد تقرير مُهمّ من عبد الله باشا الذي عمل في القُدْس جاء فيه:

"يعرض خادمكم عبد الله باشا ما يلي:

نظرًا لأنني عملت مدة عام في إدارة القُدْس فإنني أعرض بعض الأمور المُهمّة المُلْفِتة للانتباه في تلك المنطقة:

(١٥٠) BOA. Y. PRK. BŞK, ٢٢/٨٩

"إن الأراضي الفِلِسْطينية أهمّ نقطة في الدَّوْلة العثمانيّة وألطفها؛ لأنها أرض اليهود الموعودة منذ أربعة آلاف سنة، ومَهْد الديانة النصرانية، ومزار يحظى بالتقديس بين المسلمين، إلى جانب ما تتمتّع به من موقع جغرافيّ؛ ومن ثمّ فإنها مطمح الأنظار من ثلاث جهات: الأولى: اليهود، الثانية: الأماكن المسيحية المُقَدسة، الثالثة: البدو والمشايخ.

اليهود: من المعروف تاريخيًّا أن بني إسرائيل لم يتعرّضوا للعذاب والنكال على أيدي الحكومة الروسية بقَدْر ما عانَوْه على أيدي بختنصر وفراعنة مصر الذين قاموا بذلك حسدًا منهم؛ بسبب طبيعتهم المفطورين عليها.

وجميع اليهود في القارات الخمس اليوم يطمعون في فِلِسْطين، ولا شك أنهم يسعَوْن ويجتهدون منذ عشرين سنة لإقامة دولة بني إسرائيل أكثر من أيّ وقت سابق، وإن غَضضْنا الطَّرْف عن خضوع الأراضي الفِلِسْطينية للإدارة العثمانيّة، فإن الدُّوَل الكبرى لا ترى مانعًا من هجرة اليهود إلى فِلِسْطين والتوطُّن فيها؛ نظرًا للحقوق الدينية المشتركة في هذه المنطقة، إلا أن الموقف يبدو مختلفًا عما هو عليه بالنظر لأفكار هذه الطائفة ومواقفها العامة.

ولا شك أن اليهود عند السماح لهم بالهجرة إلى الأراضي الفِلِسْطينية والاستقرار فيها، سوف يسيطرون عليها في غضون ثلاثين سنة، ويجعلونها تحت تصرُّفهم؛ إذ إن اليهود يشترون اليوم الأراضي بمائتي قرش أو بثلاثمائة، وقد كانت قيمتها عشرة قروش على الأكثر قبل خمس سنين أو خمس عشرة سنة، وأحيانًا بأكثر من ذلك، وكان المزارعون العاجزون عن تحمُّل مكائد هذه الطائفة وطَمَعهم في الأموال يُرغَمون على تسليم أراضيهم والتخلي عنها، وقد سيطروا اليوم على قسم ساحليّ يبلغ حوالي ٥٠٪ من السواحل الممتدة من حيفا حتى غزة، بينما قسم آخر منهم

يُنشئ في الأماكن المهمة من فِلِسْطين قُرى ومستعمَرات كبيرة تُشبه تلك التي في أوروبا، ويزرعون هناك زراعة تتناسب مع أصول الزراعة تمامًا، وعلى سبيل المثال فقد زرعوا مليوني شجرة عِنَب في قرية واحدة خلال خمس سنوات، وحاولوا تخريج مُتخصّصين في الزراعة في مدرسة نظامية تضمّ كل التخصصات في مجال الزراعة، وقاموا كذلك بتنشئة فنّيين مُحترفين من مدرسة نظامية تضمّ كل الصناعات، إذًا قد استولوا على الصناعة والتجارة والزراعة في القُدْس وما حولها من الآن، وبعد خمس أو عشر سنوات سيضطرّ السكان من المسلمين وغيرهم إلى بيع ما يمتلكونه من أراض في تلك المناطق لليهود، وحينها سيُغلقون الحوانيت والمحالّ هناك، ويمتلك اليهود منها حاليًّا ما نسبته ١٠٪، ويرحلون من القُدْس تاركين كل الأراضي الفِلِسْطينية لبني إسرائيل، إن اليهود المُبعدين والمنفيّين من البلاد الأجنبية ومن روسيا، عندما يُواجهون الصعوبات يدخلون تحت حماية القناصل الروس وغيرهم في يافا والقُدْس، ويستفيدون من جميع الامتيازات، وهناك جمعيات مثل روتشيلد وهيرش وألبانز تساعدهم بملايين الفرنكات؛ لذا يبدو أن السيطرة على هذه المنطقة وإقامة دولة بني إسرائيل لا تكون بالمدافع ولا بالبنادق، بل عن طريق الزراعة والصناعة والتجارة؛ وبناء على هذا الوضع ينبغي اتخاذ التدابير الآتية:

١- إغلاق سواحل سوريا بالكامل أمام اليهود.

٢- إنزال أقصى العقوبات بمن يأتون إلى فِلِسْطين بهدف الزيارة، ثم يختفون فيها ولا يعودون إلى بلادهم، أو عدم قبول أيّ يهوديّ على الموانئ البحرية، حتى ولو كان قادمًا للزيارة.

٣- ترحيل من يدّعون تبعيتهم للدول الأخرى أو إلزامهم بقبول التبعية للدولة العثمانيّة، والسماح بتوطينهم في أماكن مناسبة وفقًا لذلك.

٤- حَظْر بيع الأراضي لليهود.

٥- إخضاع جميع المدارس لتفتيش وزارة التعليم العالي ورقابتها، واتخاذ تدابير أخرى مثل تساوي نِسَب الطلاب المسلمين وغير المسلمين الدارسين في المدارس الزراعية والصناعية.

وعند إلقاء نظرة على الأماكن المُقَدسة في القُدْس، فإنه يصعب إيضاح أهمية القُدْس السياسية من هذه الجهة؛ إذ إن الكنائس المُنشأة حيث وُلد المسيح ورُفع إلى السماء والمكان الذي طُردت منه السيدة مريم العذراء، كلها أماكن ومزارات مُقَدسة بين مختلف الطوائف الدينية، وقد يحدث تعدٍّ على حقوق كل طَرَف من هذه الطوائف، وصراعات تنشب فيما بينها لا تتفق مع مبادئ الأديان، وقد تؤدي هذه المشادات والصراعات التي تنشب بين تلك الطوائف إلى تدخُّل الأجانب أحيانًا.

ولا بدّ من اتخاذ إجراءات لازمة لمَنْع الصراعات والنزاعات في المنطقة، ويتمثل ذلك بتشكيل لجنة من الطوائف ذات الحقوق المشتركة في الأراضي المُقَدسة؛ بحيث يُختار عضو فخريّ من كل طائفة وما يُعادل عددهم من المسلمين، ويتغير أعضاء هذه اللجنة كل سنة أو سنتين، ولا بدّ أن تجتمع تلك اللجنة برئاسة شخص مُخلص، مُطلع على الوضع، وتقوم بإصدار خرائط لجميع الأماكن المُقَدسة، كل مكان على حِدَة، وتُطبّق القواعد والمبادئ المعمول بها وفْقا للوضع الدُّوَليّ الراهن حتى الآن، كما تُعرَض القرارات التي ستُصدرها على الحكومة والإدارة المركزية في إسطنبول.

(٢٧ أيلول/سبتمبر عام ١٨٩١).[١٥١]

(١٥١) BOA. Y. PRK. UM, ٢٣/٦٦

وبناء على استمرار الطلبات من دول عديدة -وعلى رأسها رومانيا- إلى الدَّوْلة العثمانيّة كي تقبل اليهود للإقامة بأراضيها؛ أمر السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٠م باتخاذ قرار يسمح للمهاجرين المسلمين فقط بالإقامة في الأراضي العثمانيّة، وعدم قبول المهاجرين غير المسلمين، وفي ٢٤ نيسان/أبريل عام ١٩٠٠م ناقش مجلس الوزراء قرار السلطان عبد الحميد الثاني حول هذا الأمر؛ فقرّر مجلس النواب بناء على رأي السلطان قبول المهاجرين المسلمين فقط إلى الأراضي العثمانيّة، وإعلام وزارة الداخلية من أجل اتخاذها التدابير اللازمة لعدم قبول غير المسلمين من المهاجرين، كما تقرّر تقديم المعلومات اللازمة للعضوية الأولى من لجنة المهاجرين المسلمين ووزارة الخارجية.

وفي ٢٥ نيسان/أبريل ناقشت الحكومة هذا الموضوع، وقرّرت -استنادًا إلى قرار السلطان- ضرورة أن يُعاد أولئك المهاجرون من اليهود والنصارى القادمين إلى الدَّوْلة العثمانيّة إلى بلادهم، كما قرّرت الحكومة إعلام وزارة الخارجية بألا تمنح المهاجرين من غير المسلمين تصريحًا بدخول البلاد؛ إذ لن يُسمح من الآن فصاعدًا بقبول أي مُهاجر غير مسلم إلى الدَّوْلة العثمانيّة، وقد رأى السلطان عبد الحميد الثاني والحكومة أن الحلّ يكْمُن في مَنْع هجرة غير المسلمين إلى الأراضي العثمانيّة.

بالإضافة إلى ذلك فقد أُعلن في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٠٠م عن مرسوم جديد يُسمّى "شروط دخول الضيوف العِبْرانيين إلى الأراضي المُقَدسة"، ويتكون من أربع مواد، وُزّع في يوم صدوره على جميع القنصليات الأجنبية في الأراضي الفِلِسْطينية.

وتنصّ **المادة الأولى** أنه ينبغي على أيّ يهوديّ يرغب في زيارة فِلِسْطين من أيَّة دولة في العالم أن يحمل وثيقة إثبات هوية أو جواز سفر يُدوّن فيه مِهْنته، وجنسيته وسبب الزيارة.

وأما **المادة الثانية** من هذا المرسوم فتنصّ على ضرورة قيام كل يهودي بتسليم وثيقة سفره أو جوازه لمُوظّفي الجوازات العثمانيّين فَوْر وصوله إلى منطقة فِلِسْطين، وفي مُقابل ذلك يحصل على إذن إقامة وزيارة مُؤقّتة، وتكون الوثيقة باللون أحمر حتى يتسنّى تمييزها عن غيرها من الوثائق، ومن حقّ الإداريين أو مسؤولي الأمن طلب هذه الوثيقة ممن يشكّون فيهم؛ وذلك من أجل إجراء التفتيش اللازم، كما أعلن أنه ينبغي على اليهود مُغادرة منطقة فِلِسْطين في نهاية اليوم الثلاثين من إذن الإقامة الممنوح لهم، وإلا فإنهم يُرحّلون خارج الأراضي العثمانيّة بتصديق القُنصليات التابعين لها ومساعدة رجال الأمن العثمانيّين.

ووفْقًا **للمادة الثالثة** من هذا المرسوم فُرِض على مراكز الشرطة المحلية في منطقة فِلِسْطين أن تُسجل شهريًّا أسماء من مَنَحتهم دفاتر إقامة من اليهود، وتاريخ دخولهم فِلِسْطين، ومحلّ إقامتهم فيها.

أما **المادة الرابعة** من تلك اللائحة فتنصّ على سَحْب هذه "الدفاتر الحمراء" من اليهود فَوْر انتهاء مدة إقامتهم في فِلِسْطين، وإعادة جوازات سفرهم الأصلية إليهم، وترحيلهم خارج فِلِسْطين.

ومن هنا بدأ اليهود الذين عجزوا عن الاستيطان في الأراضي الفِلِسْطينية يستقرّون في الأماكن القريبة منها، وبناء على ذلك صدر قرار من مجلس الوزراء بتاريخ ٢٧ كانون الثاني/يناير عام ١٨٩٧م:

> "يحظر إسكان اليهود المهاجرين من الدُّوَل الأجنبية في فِلِسْطين والمناطق المجاورة لها، كما يحظر إسكانهم في ولايتي سوريا وبيروت أيضًا ".(١٥٢)

(١٥٢) BOA, MV, ٩١/١٩

٢- القرارات المتخذة في فترة حكومة الاتحاد والترقي

فـي الفتـرة الانتقالية التي حافظ فيها السـلطان عبد الحميد الثاني على عرشه، كان في السلطة من يحكمون البلاد من قبل، ولم يشاركوا مسؤولي الاتحـاد والترقـي في الحُكْم بشـكل مباشـر، وأقنـع "إيمانويل كاراسـو" الاتحـادي الموالـي للصهاينة "نسـيني روسـو (*Nesini Ruso*)" و"نسـيح مزليـاخ (*Nesih Mazliyah*)" بالانضمـام إلى صفوف الصهاينة، ثمّ انضمّ إليهم "ويتالي فراجي (*Vitali Faraci*)" أفندي نائب إسـطنبول، كما صرّح "بيهـور (*Behor*)" أفنـدي اليهـودي الوحيد في مجلس الشـورى العثمانيّ أنه ليس ضد الصهاينة.

وفي إسـطنبول هُدد كل من يلتقي بهرتزل من اليهود بالطرد خارجها، لكن حاييم ناعوم -وقد كان من مؤسسـة أليانز وكبيرًا للحاخامات- أخبر الدكتور "جاكوبسون" أنه سيعمل من أجل نجاح الصهاينة، حتى إنه أرسل برقيـة تهنئة لمؤتمر عاشـق صهيون الذي عُقد في أوديسـا، وكان الدكتور جاكوبسـون يريد التأثير على الحكومة بواسـطة النواب اليهود في جمعية الاتحـاد والترقـي بصفة خاصـة، وقد كان هـؤلاء النواب يُؤيـدون هجرة اليهـود إلى الأراضي الفِلِسْـطينية، حتى إن أحمـد رضا قال مخاطبًا حاييم ناعوم الذي جاء يُهنئه على رئاسة المجلس:

> "نحن على استعداد لاستقبال اليهود في كل مكان من دولتنا، يكفـي أن يأتـوا ويُسـهموا فـي قِطاع الزراعـة والصناعة فـي بلدنا ومعهم رؤوس أموالهم".(١٥٣)

(١٥٣) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٠٢-١١٦.

obeikandl.com

استفاد اليهود من مناخ الحرية الذي ساد مع المشروطية الثانية، وزادوا من هجرتهم مرّة أخرى، وأثناء ذلك بدأ نشرُ مقالات ضد الصهيونية من جانب، وتحركت حكومة حسين حلمي باشا من جانب آخر لأخذ التدابير اللازمة من أجل وقف هجرة اليهود إلى فِلِسْطين؛ بناء على طلب شعبة جمعية الاتحاد والترقي هناك.

وعند اجتماع مجلس النواب في ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٠٩م، لفت الانتباه إلى أن خمسين ألف يهوديّ استوطنوا القُدْس مُستغلين إعلان المشروطية الثانية دون أن يُعلنوا عن تبعيتهم للدولة العثمانيّة، وقرّر بناء على ذلك تطبيق القرارات التي اتخذتها الحكومة من قبل في هذا الشأن تطبيقًا جادًّا وحازمًا؛ إذ إن تمديد إقامة الزائرين للقُدْس كان يُسبّب مُشكلات كبيرة جدًّا من الناحية الإدارية،(١٥٤) وفي ٢٨ أيلول/سبتمبر عام ١٩٠٩م أعلن وزير الداخلية طلعت بك أن هذا الموضوع عاجل جدًّا، وأمر بتطبيق القيود والحَظْر الذي كان مفروضًا في عَهْد السلطان عبد الحميد الثاني بكل حَزْم، كما حظَر أيضًا شراء اليهود مواطني الدَّوْلة العثمانيّة أراضي أو عقارات في فِلِسْطين، وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٠٩م طلب الصدر الأعظم تسجيل تاريخ جوازات سفر اليهود القادمين إلى القُدْس في أحد السجلات، أو أن تتم متابعتهم بإعطائهم دفاتر إقامة مُؤقّتة حتى لا يُسمح لهم بالإقامة فيها أكثر من ثلاثة أشهر.(١٥٥)

وقد صُدم الصهاينة صَدْمة شديدة بسبب هذه التدابير الشديدة التي اتخذتها جمعية الاتحاد والترقي مع بداية حُكْمها؛ إذ كانوا يأملون في توطُّن فِلِسْطين مع إعلان المشروطية الثانية.

(١٥٤) BOA. İ. MVL, ١٢٩/٦

(١٥٥) BOA. DH. MUİ, ٢٦-٢/٢٩

وفي تلك الفترة طُرح موضوع توطين اليهود بمقدونيا، فقد أُعلن عام ١٩١٠م عن توطين ٢٠٠ ألف يهوديّ على ضِفاف نهر واردي، غير أنه لم يتسنّ تطبيق هذا المشروع، والحقيقة أن فكرة توطين اليهود بمقدونيا لم تكن فكرة جديدة؛ إذ إنها طُبقت جزئيًّا في عَهْد السلطان عبد الحميد الثاني، ولم يكن السلطان عبد الحميد الثاني يرغب -كما سبق بيانه- في توطين اليهود الذين يتزايد عددهم في إسطنبول بمكان آخر مثل سلانيك، وقد أمر بتوطين جزء منهم في أماكن مثل أسكوب ومناستير؛ إذ كانت تلك المناطق ضِمْن حدود مقدونيا آنذاك، وكان طَرْح الاتحاديين لمقدونيا بديلًا عن سلانيك يهدف إلى مَنْع زيادة عدد اليهود في سلانيك، ومَنْع نشاطات وتحرّكات الروم والبلغار عن طريق توطين اليهود المُهاجرين في أماكن الصراع، والاستفادة من ذلك بوَضْع مقدونيا تحت المراقبة.

حظَر الاتحاديون هجرة اليهود إلى فِلِسْطين، إلا أنهم كانوا يرغبون في مساعدة هؤلاء اليهود الذين اضُطهدوا في أوربا، والاستفادة منهم من أجل مصلحة البلاد، ومن ثمّ رأوا أنه يُمكن توطين اليهود المهاجرين في بلاد الرافدين.

غير أن إنجلترا كانت ترى منطقة بلاد الرافدين منطقة نفوذ تخصّها وحدها، وانزعجت من مشروع توطين اليهود فيها، ولا سيما أنهم تحت حماية المنظمات اليهودية المدعومة من قبل ألمانيا التي انتهجت سياسة عالمية، وقد أَرْعب إنجلترا احتمالُ توطُّن اليهود في هذه المنطقة بدَعْم من المنظمات اليهودية في ألمانيا، ولا سيما بعد دخول الألمان المنطقة بسبب مشروع سكة حديد بغداد- برلين، إلا أن هذا المشروع فَشِل لرغبة اليهود بالتوطن في فِلِسْطين لا في بلاد الرافدين، ناهيك عن الدور الذي قامت به إنجلترا للحيلولة دون ذلك.(١٥٦)

(١٥٦) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٢٠-١٢٢.

وإضافة إلى حَظْر هجرة اليهود إلى فِلِسْطين وشرائهم أراضي منها في فترة الاتحاد والترقي، كان القادمون منهم لزيارتها يمنحون إقامة زيارة مُؤقّتة، إلا أن وزارة الداخلية أرسلت مذكرة إلى المجلس عام ١٩١٣م يُفهم منها أن هذا الإجراء فَشِل في تحقيق النتيجة المطلوبة أيضًا، وقد ورد في هذه المذكرة:

"يظهر من هذه المذكرة أن دفاتر الإقامة الحمراء للزوار اليهود القادمين إلى الأراضي الفِلِسْطينية لمَنْع تمديد الإقامة فيها لم تُحقّق الفائدة المنشودة منها، بل فتحت الطريق لكثير من أوجه الاستغلال، ومن ثمّ قرّرنا إبلاغ إدارة القُدْس بإلغاء هذا الدفتر الأحمر بدءًا من تاريخ صدور القرار، وأن على الحكومة المحلية هناك أن تتيقّظ لمحاولات اليهود القادمين للزيارة جماعات أو أفرادًا، سواء كانوا من الولايات العثمانيّة أو من الدُّوَل الأجنبية، وينوون تمديد إقامتهم أو الاستعداد للهجرة مُخالفين هذا الحظر، كما تقرّر وضع التدابير مُراعاة للزمان والمكان، وعدم السماح لهم إطلاقًا بتمديد إقامتهم والهجرة إلى هناك".(١٥٧)

في بداية الحرب العالمية الأولى بدأت حكومة الاتحاد والترقي باتخاذ تدابير حازمة بشأن اليهود الذين يواصلون الهجرة إلى فِلِسْطين مُتجاهلين كل القوانين التي كانت صدَرت من قبل.

وقد ورد في إحدى الوثائق أن الحكومة العثمانيّة قرّرت في ١١ أيار/مايو عام ١٩١٤م:

"ضرورة إبلاغ اليهود الأجانب الذين استوطنوا من خلال شرائهم الأراضي والمنازل في لواء القُدْس وولايتي سوريا وبيروت، أنه يتعيّن عليهم قبول تبعيتهم للدَّوْلة العثمانيّة دون اعتراض، وإلا فعليهم الرحيل ومغادرة أراضيها، وفي حال قبولهم

(١٥٧) BOA. MV, ١٨٠/٣٢

التبعية العثمانيّة يتم إحصاء عدد منازلهم وسكانهم، وما يشتغلون فيه من الأعمال، وإرسال سجلات الإحصاء، والحصول على سَنَد من رئيس كل عائلة يتعَهّد فيه بأنهم سيتبعون قوانين الدَّوْلة العثمانيّة ولوائحها، وفي حالة رَفْض هؤلاء تبعية الدَّوْلة العثمانيّة، تُبلّغ إدارة القُدْس وولايتا سوريا وبيروت أنه يتعيّن على هؤلاء الرافضين للتبعية العثمانيّة مُغادرة تلك المناطق خلال المدة المحددة، وبيع الأراضي والعقارات التي استملكوها، أو تركها لآخرين يقومون بإدارتها بدلًا منهم.(١٥٨)

وقد ورد في وثيقة أخرى أن كثيرًا من اليهود نُفوا خارج الحدود العثمانيّة؛ إذ أفادت الوثيقة:

"لقد تجاوز عدد اليهود الذين استوطنوا الأراضي الفِلِسْطينية مائة وعشرين ألفًا؛ نتيجة نشاطات الجمعيات والمنظمات الصهيونية السرية في تشكيل حكومة صهيونية في الأراضي الفِلِسْطينية، جدير بالذكر أن ٩٠٪ منهم هم رعايا الدُّوَل الأجنبية الخصوم؛ ولذلك فإنه ينبغي على الفور إيقاف هذا التيار الذي يُهدّد السياسة العثمانيّة في المستقبل، وقد وافق مجلس النُّوّاب أن يُبعد من لا يقبل تبعية الدَّوْلة العثمانيّة من يهود الدُّوَل الخصوم إلى خارج الحدود العثمانيّة؛ لئلا يُفسح المجال لحدوث تدخُّل أجنبيّ في هذه المناطق.

ورَغْم أن الغالبية العُظمى من يهود الدُّوَل الخصوم راجعت الدوائر المعنية، وقَبلت بأن تُغيّر تبعيتها بناء على قرار مجلس النواب، إلا أن قسمًا منهم لم يرضَ بذلك، وقاموا من تلقاء أنفسهم بمُغادرة الحدود العثمانيّة بالبواخر، ومعهم رؤساء بلدياتهم دون أن تُرافقهم الشرطة أو حرَس الدَّرَك، أو أن يُمارس عليهم أيّ ضَغْط من أيّ جانب قط، بل برغبتهم من أنفسهم، حتى إن الحكومة تكفّلت مُباشرة بمصروفات رِحْلة من لم يرغبوا

(١٥٨) BOA.Y. RES, s. ٩٣/٦

في الخروج زاعمين أنهم لا يملكون المال، وسُلّموا إلى شركة البواخر ومن هناك أركبوا الباخرة.

(١٠ نيسان/أبريل عام ١٩١٥م) وزير الداخلية: طلعت".[١٥٩]

وقداستمرّتحركةجمالباشا-وقدعملواليًالسورياوقائدًاللجيشالرابع في فترة الحرب العالمية الأولى- المناوئة للصهيونية استمرت في المقاومة دون انقطاع ما بين ١٩١٥-١٩١٦م، وشاركت الوحدات العسكرية من اليهود الأجانب في الحرب إلى جانب إنجلترا، ومارست منظمة التجسّس نيلي الموالية لإنجلترا نشاطها في سوريا وفِلِسْطين ما بين عامي ١٩١٥-١٩١٧م، وفي الوقت الذي وصل فيه الإنجليز غزةَ أُرسل ما بين ٧٠٠٠ - ٩٠٠٠ يهوديّ إلى الشمال ممن كانوا يعيشون في يافا في ٩ نيسان/أبريل عام ١٩١٧م.[١٦٠]

غير أنه رَغْم كل هذه القوانين المانعة، بل ورَغْم قيام حكومة الاتحاد والترقي بطَرْد قسم من اليهود من فِلِسْطين، إلا أنه حين وضعت الحرب أوزراها واستولى الإنجليز على الأراضي الفِلِسْطينية، قامت السلطات الإنجليزية بإزالة جميع العقَبات التي كانت تقف أمام هجرة اليهود إلى فِلِسْطين تطبيقًا لوعد بلفور الذي أُعلن عام ١٩١٧م.

(١٥٩) BOA. HR. SYS, ٢١٦٠/٣

(١٦٠) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٢٧-١٢٨.

خلاصة البحث

إن اسم "فِلِسْطين" مصطلح رُسّخ في اللغة الدبلوماسية للدولة العثمانيّة من جانب الدُّوَل الغربية أواخر القرن التاسع عشر، ولاسيما مع ظهور المنطقة على الساحة السياسية، بَيْد أنه لم يكن ثمّة وَحْدة إدارية في الحكومة العثمانيّة تُسمى "فِلِسْطين"، وعندما صدَر قرار بعدم توطين اليهود المُهاجرين من روسيا في أرض فِلِسْطين جرى نقاش حول حدود هذا المكان، وناقش مجلس الوزراء هذا الموضوع في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٢ نيسان/أبريل عام ١٨٩١م، وقرّروا:

"حدود فِلِسْطين تضمّ ولايتي القُدْس وعكّا، ويحظر إسكان المهاجرين اليهود في تلك الأماكن".

وقد تحدّدت حدود الأرض الموعودة لليهود من التوراة كما يزعمون، وحدودها من البحر الأحمر في الجنوب حتى الفرات في الشمال، ومن البحر الأبيض في الغرب حتى البحر الميت في الشرق، وكانت منطقة فِلِسْطين التي خضعت للسيادة العثمانيّة في القرن السادس عشر تابعة لولاية الشام، وكانت مُقسّمة إلى ثلاث مناطق إدارية، هي لواء القُدْس وغزة، ولواء نابلُس صفد، ولواء صالت عجلون، وفي عام ١٦١٤م تشكّلت ولاية جديدة باسم صفد - صيدا - بيروت، وضُمّت إليها ألوية نابلُس وجبل عجلون وتدمر وكرك شوبك داخل ولاية الشام، وبعد هذا التقسيم الجديد صارت الأراضي التي تُشكّل منطقة فِلِسْطين واقعة في ولايتين مختلفتين، وقد خضَعت المنطقة لسيادة أبناء محمد علي باشا ما بين ١٨٣١-١٨٤٠م، ثم عادت من جديد إلى سيادة الدَّوْلة العثمانيّة عام ١٨٤٠، وارتبطت تمامًا بولاية صيدا، وعندما تأسّست ولاية سوريا عام ١٨٦٥ انضمّت مدن القُدْس ونابلُس وعكّا إليها.

حـازت منطقةُ فِلِسْـطين أهمية كبيرة من قِبَل جميـع الدُّوَل مـع تطبيق قـرارات التنظيمـات والإصلاحـات في المنطقـة، وكذا "قضيـةُ الأراضي المُقَدسـة" التـي ظهـرت في أثنـاء حـرب القرم، واكتسـبت أهميـةً كبيرة فـي القـرن التاسـع عشـر نتيجـة بـدْء هجـرة اليهود إليهـا بشـكل مُنظم، وأصبح لواء القُدْس تابعًا للعاصمة إسـطنبول مباشـرة بسبب هجرة اليهود التي بدأت من ثمانينات القرن التاسع عشر (١٨٨٠م)، فصار إدارة برأسه.

وتحمِـل منطقـة فِلِسْـطين ولاسـيما القُدْس أهميـة كبيرة جدًّا بالنسـبة للأديان السماوية الثلاثة، إن هذه المنطقة عند المسيحيين هي المكان الذي شَهِد ميلاد عيسى عليه السلام، ورَفْعه إلى السماء، ودُفنت فيه مريم عليها السلام.

أمـا أهميـة القُـدْس عنـد المسـلمين فإنهـا تأتـي مـن كونهـا المـكان الـذي عـرَج منه نبيّ الإسـلام محمد ﷺ إلى السـموات العُلـى، بالإضافة إلـى أن كثيـرًا من الأنبياء والصحابـة دُفنوا هناك، كما تحـوز دُوْر وأماكن العبادة التي أنشؤوها هناك أهمية كبيرة لدى المسلمين.

وكانـت الإدارة العثمانيّـة تُرسـل إلى القُـدْس قَدْرًا كبيـرًا من الأموال وبعـض الأشـياء الأخـرى كل عـام، كما كانت تُرسـل إلى مكـة والمدينة أموالًا وأشياء عن طريق قوافل"الصُّرَّة"، وكانت تدعم شعب تلك المنطقة اقتصاديًّا، وقد أَوْلى السـلاطين العثمانيّون هذه الأماكن المُقَدسـة اهتمامًا خاصًا على مرّ العصور، ناهيك عن أن كثيرًا من أهل الخير ومُحبّيه قدّموا بواسطة الأوقاف كثيرًا من الخدْمات المادية والمعنوية إلى تلك المناطق.

ويذكـر أوليـا جلبـي الـذي زار القُـدْس فـي القـرن السـابع عشـر أن فيهـا سـبعمائة وَقْـف، ومسـؤولو هـذه الأوقـاف كانوا يشـرفون أيضًا علـى المحاكـم، وقـد ورد فـي تقريـر مُراقبـة وَقْـف حسـكي سـلطان الذي تأسّس عام ١٥٥١-١٥٥٢م:

> "فقـراء هذه الديـار كثيرون يا حضرة السـلطان! وكان الطعام هنـا يُقـدّم مرّة واحدة فيمـا مضى، ثم صار يُقـدّم مرّتين في اليوم،

ومـع ذلـك لاحظـتُ أن الطعـام لـم يكفِ لـكل النـاس، وكنت أتحيّـر وأتعجّب من الضجيج والصُّراخ الذي يُطلقونه قائلين: إننا جائعون".

والحقيقة أن إطعام هذا القَدْر الكبير من الفقراء، إلى جانب تعمير كثير مـن الأماكن الدينيـة والتاريخية وصيانتها، فضيلـةٌ لا يمكن لها أن تتحقّق إلا بعَطْف الدَّوْلة العثمانيّة وقوتها، كما أن إدارة من ينتسـبون إلى الأديان والعِرْقيات بعدالة وتسامح منهج تتصف به هذه الدَّوْلة العالمية.

إن فِلِسْـطين عنـد اليهـود -كمـا هـو معـروف- مركـز الكـون، كمـا يدَّعـون أن الله وعدهـا بني إسـرائيل، وقد نجح اليهـود -الذين جيء بهم من مصر مـع موسـى عليه السلام إلى "الأرض الموعودة" المذكورة في التوراة- فـي إقامـة أول دولـة لهم في فِلِسْـطين في عَهْد يوشـع بعد موسـى عليه السلام، غيـر أنَّ ممالـك آشـور وبابل هدَمت تلـك الدَّوْلة التي أسّسـوها، وبدأت حيـاة "المنفـى الأولـى" بالنسـبة لليهـود بعد أن جُلِبـوا إلى بابـل (العراق حاليًـا)، وقـد أقـام اليهـود دولتهـم مـن جديـد حين عـادوا إلـى ديارهم عـام ٥٣٩ ق.م، غيـر أن إمبراطـور روما طرَدهـم من فِلِسْـطين وهجّرهم مـرّة ثانيـة حين تمرّدوا عام ١٣٥م، وهو مـا ورد في التاريخ على أنه حياة "المنفـى الثانية" بالنسـبة لليهود، وقد حافظ اليهود بإصـرار على هوياتهم وأفكارهـم الدينيـة والقوميـة، وتمسـكوا بهـا بشـدة فـي البـلاد والمـدن التي هاجروا إليها، وعاشوا فيها، فهم يعدون أنفسهم "شعب الله المختار"، واعتقـدوا أنهم سـيجتمعون فـي الأراضي الموعودة يومًـا ما تحت نجمة الملك داود السداسية.

وقـد أثّـرت حركـة العـداء لليهـود (مُعـاداة السـامية) التـي ظهـرت في أوروبا الغربية ما بين القرنين ١٣-١٥ في جاليات اليهود الذين يعيشون هنـاك تأثيرًا مُباشـرًا؛ فطُـرد اليهود مـن إنجلترا عام ١٢٩٠م، ومن فرنسـا عـام ١٣٩٢م، ومـن إسـبانيا عـام ١٤٩٢م، ومـن البرتغال عـام ١٤٩٧م،

وأُرسل اليهود المطرودون من هذه الدُّوَل إلى هولندا وبولندا والقُدْس، وقد زاد عدد اليهود في القُدْس أكثر من قبل؛ وذلك بسبب هجرة اليهود الهاربين من قَمْع محاكم التفتيش في أوروبا خلال القرن السادس عشر، بعد أن دخلت فِلِسْطين تحت السيادة العثمانيّة، وكان ظهور الحركات القومية التي تسارعت وتيرتها في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد أشعل العداء ضدّ اليهود؛ وقد اضطرّ اليهود إلى الهجرة من أوروبا وروسيا، ونزحوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفِلِسْطين وإنجلترا وكندا وجنوب إفريقيا، وقد أنتجت حركة مُعاداة السامية التي ظهرت في القرن التاسع عشر حركة الصهيونية، وهي تعني القومية اليهودية، وهذه الحركة القومية قد شجّعت الهجرة اليهودية إلى القُدْس مُباشرة في الثمانينات من القرن الثامن عشر.

وقد اتخذ السلطان عبد الحميد خان الثاني مجموعة من التدابير والإجراءات كي يمنع هجرة اليهود إلى فِلِسْطين وشراءهم الأراضي هناك، غير أنه لم يُحقّق النجاح في هذه القيود والقوانين نتيجة ضغوط الدُّوَل العظمى لما كانت تتمتع به من امتيازات، ونتيجة بعض الأسباب الداخلية أيضًا، وبناءً على هذا سعَتْ الحكومة العثمانيّة برئاسة السلطان عبد الحميد الثاني إلى تحويل وِجْهة هجرة اليهود إلى الأراضي العثمانيّة بعيدًا عن فِلِسْطين؛ إذ اتبعت سياسة توطين اليهود ببعض المناطق، مثل إزمير وسلانيك وبورصة، وكان الهدف من ذلك هو الاستفادة من اليهود في سلانيك لمواجهة البلغار واليونانيين، واتخاذ التدابير المستقبلية في غرب الأناضول أيضًا لمواجهة اليونانيين الذين كانوا يتحرّكون للاستيلاء على إزمير.

ورَغْم اتخاذ عِدّة تدابير إلا أن ما يقرب من ١٢٠٠٠ يهوديّ استوطنوا فِلِسْطين ما بين عامي ١٨٨٠-١٨٩٠م؛ نتيجة هجرة اليهود إليها، وقد تكاثفت هجرتهم أثناء خلافة السلطان عبد الحميد خان للدولة العثمانيّة،

وعرفت هذه الفترة باسم "عَلِيا الأولى"، وفي عام ١٨٨٩-١٨٩٠م ظهرت مدينة عشوائية حول ميشكنوت شعانيم أول محلة يهودية خارج القُدْس. وبحلول عام ١٨٩٧م الذي عُقد فيه المؤتمر الصهيوني، زاد اليهود بشكل خطير جدًّا إذ بلغ عدد الأحياء اليهودية في القُدْس ٤٦ حيًّا، وبحلول عام ١٩٠٨ بلغ عدد اليهود في فِلِسْطين ٧٠٠٠٠ يهوديّ، بينما وصلوا إلى ٨٥٠٠٠ نسمة قبل الحرب العالمية الأولى.

وأثناء الحرب العالمية الأولى أُخرج من فِلِسْطين بعض اليهود ممن لم يدخلوا تحت تبعية الدَّوْلة العثمانيّة، وكانوا مواليين لأعدائها، وواصل جمال باشا والي سوريا وقائد الجيش الرابع نضاله ضدّ الصهاينة ما بين عامي ١٩١٥-١٩١٦م؛ لأن الوحدات العسكرية التي تشكلت من اليهود الأجانب شاركت في الحرب إلى جانب إنجلترا، وكانت منظمة التجسُّس "نيلي" الموالية للإنجليز مارست أنشطتها العدائية ضدّ العثمانيّين في سوريا وفِلِسْطين، وعندما وصل الإنجليز إلى غزّة أُرسل ما بين ٧٠٠٠-٩٠٠٠ يهوديّ من يافا إلى الشمال بتاريخ ٩ نيسان/أبريل عام ١٩١٧م، وانتقلت فِلِسْطين إلى سيطرة إنجلترا حين وضعت الحرب أوزارها، كما زالت العراقيل التي كانت تَقِف أمام هجرة اليهود إلى فِلِسْطين تطبيقًا لوعد بلفور الذي أُعلن عام ١٩١٧م.

ورَغْم كل هذه التدابير القانونية والعسكرية إلا أنه تعذّر مَنْع هجرة اليهود إلى فِلِسْطين، وكان لهذا الأمر كثير من الأسباب الداخلية والخارجية، غير أن التاريخ شَهِد أكثرَ من مرّة أن الخسائر الأخلاقية كانت دائمًا تقف وراء الخسائر المادية، لقد فَقَد أحفاد عُمَر ﷺ وصلاح الدين الأيوبي وياووز سليم فاتحي القُدْس أشياء كثيرة من قِيَمهم المُقَدسة والسامية، فحلَّتْ الخيانةُ محلَّ الصلابة، والجهل محلّ العلم، والكسل والسفاهة محلّ التديُّن، ولو لم يكن الأمر كذلك لطُبّقت القوانين التي سُنّت، ولَمَا طمع القَرَويون وباعوا الأرض التي روَتْها دِماء أجدادهم الشهداء بثمن

بخس، ولمَا ارتشى المُوظفون وساعدوا على إتمام هذا البيع، ولأدركوا تمام الإدراك أن الأراضي التي يعيشون عليها أراضٍ مُقَدسة.

وإذا ما أمعنّا النظر والتفكير في سبب حدوث هذا القدْر من فَقْد الوَعْي لاتّضح أنه لم يبقَ أيُّ أثَر من قِيَم المحاكم الشرعية وأخلاقها التي كان غير المسلمين يفضّلون أن يحتكموا إليها ثقةً منهم بعدالتها، كما أنه لم يبقَ أثَر من المدارس التي كانت بالقُدْس، وكان عددها يفوق ١٠٠ مدرسة في زمن ما.

وتُشير لائحة فتحي بك والي نابلُس إلى تلك المعاني، يقول بإيجاز:

> "يسعى اليهود إلى أهدافهم التي طَمِعوا في تحقيقها سرًّا وخُفية في الصوامع والمدارس، ودور الأيتام المقامة باسم الدين والإنسانية، وتُساعدهم مجموعة من الحكومات والجمعيات في هذا الشأن، إنهم لا يتورّعون من الاستفادة حتى من ظروف العجَزة الذين يلجؤون إلى المستشفيات، والأكثر من ذلك أنهم يسعون لكَسْب قلوب الشعب الجاهل الذي يعيش في القُرى، وهو عاجز عن التفريق بين الحسَن والرديء، وكذا الأطفال المسلمون الملتحقون بالمدارس.
>
> وبناء على تلك الملاحظات والبحوث قُمت بإنشاء مستشفى خلال خمسة عشر شهرًا من خلال ما جَمعْتُه من أموال عن طريق المساعدات وغيرها من الوسائل، وعملتُ ليلَ نهارَ في لواء نابلس للحفاظ على هذا اللواء، وهذا ما يقتضيه حُبّي وإخلاصي للوطن وضميري وأخلاقي التي ظلت طاهرة سليمة حتى بلغتُ هذه السنّ؛ وذلك لدفع الأهالي إلى طريق الحضارة والتقدم، وتأليف قلوبهم من أجل حكومتنا، وأقمت آثارًا مثل الحدائق الظريفة المفتوحة للعامة التي تلفت الانتباه، والمدارس الخاصة بالذكور وغيرها من المُنشآت، وأكملتُ كل ما هو ضروريّ لأجل تعليم الفتيات وتربيتهنّ.

ومن جهة أخرى وُفِّقْتُ إلى كَسْب ثقة الشعب، وبفضل هذا كشفتُ عن حقوق الشعب التي كانت تُغتصب حتى في الوقت الحالي، وتيسّر لي أن أزيد دَخْل اللواء أربعة أضعاف، ويعلم الله تعالى ما العراقيل والصِّعاب التي واجهتُها، وكم عانيتُ من مشاقّ أثناء إجراءاتي المتواضعة هذه.

وبناءً على ذلك أقول: إن هذا الوضع والتردّي الذي سقطت فيه الدَّوْلة سوف يُصلَح، ويتحسّن إذا ما عَمِل زملائي ونُظَرائي، واجتهدوا في العمل بهذه الطريقة أيضًا.

وهكذا يتبين لنا أن الدُّوَل الأجنبية سوف تتدخّل بواسطة السياسة التي يتبعونها في الشؤون العثمانيّة الداخلية، وسوف يزيدون من نفوذهم داخل البلاد العثمانيّة.

ولقد لقيتُ كثيرًا من الشباب المسلم الذي تخرّج من مدارس يافا والقُدْس وبيروت، وهو لا يفهم كلمة من لغة الدَّوْلة الرسمية، إلا أنَّه يتحدث اللغة الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وهناك من تعلم اللغة الإنجليزية من رجال نابلُس ونسائها المسيحيات اللائي لا زِلْنَ يستترْنَ في ثيابهن حتى الآن، وقد حدَث هذا في ظلّ مدرسة صغيرة أُقيمت في زاوية إحدى الكنائس البروتستانتية الصغيرة، ومنذ اللحظة الحالية نجد أن المُبشرين البروتستانت والكاثوليك تسلّلوا إلى كرك وما حولها؛ تلك المنطقة التي استطعنا الحفاظ على الأمن والسلم فيها بواسطة الجنود.

وقد تقدَّم الإنجليز خُطَوات واسعة إلى الأمام في هذا التنافس في صمت وهدوء، إلا أنهم فعلوا ذلك بواسطة جهود كبيرة، وكان الهدف الحقيقيّ للإنجليز هو إقامة منطقة نفوذ إنجليزية تَصِل إلى مصر وساحل البحر الأبيض المتوسط، عن طريق الهند وإيران والبصرة وبغداد والجزيرة وفِلِسْطين، وليس ثمّة شكّ في أن حدودًا جديدة ستُرسم في وقت قريب، تمتدّ من الهند حتى مصر مُتعقبًة تلك الطُّرُق السالفة الذِّكْر.

وليس هناك ضرورة للخوف إلى هذا الحدّ من محاولات الإنجليز القومية الشوفينية الاقتصادية والسياسية البحتة إذا ما كانت هناك دولة مُتقدّمة وقوية، غير أنه ليس من المُستبعد أن نُواجه هنا أيضًا -والعياذ بالله- ما واجهناه من مُعاناة في مصر إذا ما حدث العكس، وخاصة أن عيون بعض الدُّوَل الأوربية تطمع في بلادنا التي تمتلك كل أنواع الإمكانيات؛ إذ عجَزت تلك الدُّوَل عن أن تَجِد لها ساحة للتوسُّع بقَدْر ما كانت تأمل بسبب صَحْوة اليابانيين والصينيين في شرق آسيا.

وعندئذ لا يُمكننا الردّ على هذه الجيوش المُتسلّحة بالعلم والمعرفة والاقتصاد والسياسة إلا إذا كنا مُجهّزين بنفس الأسلحة التي تسلّحوا بها، فمن الصَّعْب أن نعيش ونبقى بخلاف ذلك، كفى! علينا أن نستفيق وننتبه إلى أنفسنا، ولْنسعَ أن نَدْعم بعضنا بدلًا من أن يسحَق بعضنا بعضًا، علينا ألا نخدم أغراضنا الشخصية وأطماعنا، بل نرعى المصلحة العامة أكثرَ مما نرعى المصلحة الشخصية، لا بدّ أن نُوكل كل شيء لمن هو أهله، علينا أن نُؤثر التطبيق على النظرية في شؤون الحُكْم، إن السياسات الواهية والمحاولات الاعتباطية لا تُحافظ على دولة ولا تُديم بقاءها.

ينبغي التفكير في مُستقبلنا لمئات السنين، لا ليوم أو يومين، وبناء على ذلك علينا أن نحدّد لنا منهجًا سياسيًّا، هكذا عرضتُ بعض الحقائق على الحكومة عَبْر تقريري هذا، وبناء على ذلك أقْترح على حكومتنا إنعاش الخلايا التي أنشئت خصّيصَى لطلاب العلم قديمًا في مُحيط المسجد الأقصى وقُبّة الصخرة لما لها من الفوائد السياسية والاجتماعية والمادية والمعنوية، وهي تُستخدم اليوم -للأسف- غُرَفًا وحوانيت، أو أن تُنشأ مدرسة في القُدْس التي لها أهمية استراتيجية كُبْرى، وهي نقطة تَقاطُع بين مصر والحجاز وسوريا، وهذه المدرسة تُعادل الجامع الأزهر في مصر على أن يتمّ تعليم اللغة العثمانيّة فيها؛ وذلك عن طريق تأسيس جامعة مُستقلّة هناك".[١٦١]

(١٦١) BOA.DH.İD ٣٤/١٨

وقد اقترح كثير من رجال الدَّوْلة وكبار علماء الدين- مثل فتحي بك والي نابلُس- على الإدارة العثمانيّة كثيرًا من الأمور للقضاء على الجهل والفقر وتنشئة جيل مُؤمن ذي عزيمة وإرادة، وكافحوا كثيرًا في هذا السبيل.

وقد جاء أهمّ اقتراح لإصلاح المدارس من قِبَلِ صفوت باشا وزير التعليم العالي، إذ أشار في تذكرة أعدّها الباشا عام ١٨٨٠م أن الموادّ الطبيعية قد أُلغيت من المدارس نتيجة برامج نُظّمت قبل ٢٠٠ سنة، واقترح صفوت باشا من أجل هذا "أن يتم إصلاح المدارس؛ وذلك من خلال تدريس مواد حديثة، مثل الجغرافيا والفلك والحساب والجبر وعلم القانون"، غير أنه لم تَجْرِ في تلك الفترة أية دراسة لإصلاح المدارس وإحيائها قطّ، وعملت المدارس التي افتُتحت على النَّمَط الغربيّ نتيجة الانفتاح على الغَرْب من أجل تَنْشِئة "وكالات مُتطوّعة" للغرب في الأراضي العثمانيّة على حدِّ تعبير جميل مريج، لا من أجل رِفْعَة الدَّوْلة العثمانيّة من جديد، وذلك لوجود غربيين في هيئات الإدارة في تلك المدارس.

وطالما لم تحي من جديد وتنتعش خلايا العلم التي أُنشِئت سابقًا للطلاب الذين يُحصّلون العلم، وحُوّلت فيما بعد إلى حوانيت ودكاكين، فإنه من المؤكّد أن الردّ على جيوش العلم والمعرفة والاقتصاد والسياسة الذين رآهم حاكم نابلُس أمر ليس سهلًا، وكان لا بدّ من البحث عن الخاتم حيث فُقِد كما جاء في حكاية نصر الدين جحا الماتعة، وطالما لم ينشأ جيل ينتصر لدينه ووطنه وقِيَمه المُقَدسة، فإنه يتعذّر أن يكون لأمة مُستقبل ما بواسطة المُناورات السياسية اليومية، مثلما قال المرحوم محمد عاكف:

"وطنٌ بلا صاحب هالك يقينًا
فإن ننتصرْ للوطن فلنْ يَهْلِك ما بَقِيْنا"

المصادر

أ- وثائق الأرشيف العثمانيّ التابع لرئاسة الوزراء

١- دفاتر المُهمّات:

1- **BOA**. Mühimme Defterleri, 5, No: 248

2- **BOA**. Mühimme Defteri, 6, No: 53-57

3- **BOA**. Mühimme Defteri, 6, No: 113

4- **BOA**. Mühimme Defteri, 12, No: 1133

٢- قسم مُهمّات الديوان الهُمايوني باب آصافي:

5- **BOA**. A. DVN. MHM, 75/548

٣- قسم غير المسلمين بالديوان الهُمايوني باب آصافي:

6- **BOA**. A. DVN. KLS. d. 08, s. 5

7- **BOA**. A. DVN. KLS. d.08/s.6

8- **BOA**. A. DVN. KLS.d.08

٤- دفاتر الاسم السلطانيّ بسجلات الديوان الهُمايوني باب آصافي:

9- **BOA**. A. DVNS. NMH. d.1

٥- وثائق قسم مُهمّات مُراسلات الصدارة العُظمى:

10- **BOA**. A. MKT. MHM, 5 84/17

٦- إيرادات وزارة الداخلية:

11- **BOA**. İ. DH, 442/29174

12- **BOA**. İ. DH, 168/8868

13- **BOA**. İ. DH, 1327 .N. /1

٧- الإيرادات الخصوصية:

14- **BOA**. İ. HUS 139-1324 M/54

٨- إيرادات الأوقاف:

15- **BOA** İ. EV, 1325. S/21

٩- إيرادات المجلس الأعلى للقضاء:

obeikandl.com

16- **BOA**. İ. MVL, 129 /6

١٠- إيراد المجلس المخصوص:

17- **BOA**. İ. MMS, 122/5229

١١- شؤون سياسة الخارجية:

18- **BOA**. HR, SYS 41/3
19- **BOA**. HR. SYS, 410/3-24
20- **BOA**. HR. SYS, 41/3
21- **BOA**. HR. SYS, 410/3-24
22- **BOA**. HR. SYS, 1526/9
23- **BOA**. HR. SYS, 409/6
24- **BOA**, HR. SYS, 2337/7
25- **BOA**. HR. SYS, 2333/1
26- **BOA**. HR. SYS, 2333/11
27- **BOA**. HR. SYS, 2333/1
28- **BOA**. HR. SYS, 2160/3

١٢- وثائق قسم مُكاتبات وزارة الخارجية:

29- **BOA**. HR. MKT, 97/48

١٣- وثائق الغُرْفة الاستشارية بمستشارية القانون بوزارة الخارجية:

30- **BOA**. HR.HMŞ.İŞO, 187/52

١٤- قسم مكاتبات الداخلية:

31- **BOA**. DH.MKT.1030/33
32- **BOA**. DH MKT 207/1
33- **BOA**. DH. MKT, 918/75
34- **BOA**. DH. MKT,2350/46
35- **BOA**. DH. MKT.196/62

١٥- وثائق مديرية الشؤون المحلية والولايات بوزارة الداخلية:

36- **BOA**. DH. UMVM, 145/49

١٦- وثائق إدارة المخابرات العمومية بوزارة الداخلية:

37- **BOA**. DH. MUİ, 26-2/29

١٧- إيرادات الداخلية:

38- **BOA**. DH.İD 34/18

١٨- الأمن العام بالداخلية:

obeikandi.com

39- **BOA**. DH. EUM. 4. Şb. 22/40
40- **BOA**. DH. EUM, 4.Şb.11/32

١٩- وثائق العرض الرسمية بوزارة ييلدز:
41- **BOA**. Y.a. RES, 24/38
42- **BOA**. Y.a. RES, 5/58
43- **BOA**. Y.a. RES, s. 93/6

٢٠- الوثائق العمومية المتفرقة بييلدز:
44- **BOA**, Y. PRK. UM 23/66
45- **BOA**. Y. PRK. UM, 23/66

٢١- وثائق معروضات ييلدز المتنوعة:
46- **BOA**. Y. MTV, 264/ 119
47- **BOA**. Y. MTV, 285/162
48- **BOA**. Y. MTV, 313/162

٢٢- وثائق معروضات وزارة الداخلية - ييلدز المتنوعة:
49- **BOA**. Y. PRK. DH, 7/29

٢٣- جرنالات محلات عرض الحال- ييلدز المتفرقة:
50- **BOA**. Y.PRK. AZJ 50/86
51- **BOA**. Y. PRK AZJ, 30/37
52- **BOA**. Y. PRK. AZJ, 30/37

٢٤- وثائق قسم مترجمية المابين والمحررات الأجنبية المافرقة بييلدز:
53- **BOA**. Y PRK. TKM, 38/51
54- **BOA**. Y. PRK TKM, 41/ 5

٢٥- وثائق دائرة التشريفات العمومية المتفرقة بييلدز:
55- **BOA**. Y.PRK. TŞF, 6/72

٢٦- وثائق معروضات دائرة السكرتارية العامة المتفرقة بييلدز:
56- **BOA**. Y.PRK. BŞK, 22/89
57- **BOA**. Y. PRK. BŞK, 22/89
58- **BOA**. Y. PRK. EŞA, 7/40
59- **BOA**. Y. PRK. EŞA, 13/67

٢٧- متفرقات وثائق سِجلات نظارة العدل والمذاهب بييلدز:
60- **BOA**. Y. PRK. AZN, 5/9

٢٨- مجلس الشورى:

obeikandl.com

61- **BOA** ŞD, .2301/16
62- **BOA**. ŞD, 2269/24
63- **BOA**. ŞD, 2280/26
64- **BOA**. ŞD, TNZ.2272/86

٢٩- قلم التحريرات بالخزينة الخاصة:

65- **BOA**. HH. THR, 27/2

٣٠- محاضر مجلس النواب:

66- **BOA**, MV, 91/19
67- **BOA**. MV, 180/32

ب- الرسائل العلمية

١- فيظاء بتول كوسه: **القُدْس تحت الحُكْم العثمانيّ**، رسالة ماجستير، جامعة أتاتورك، أرضروم ٢٠٠٣م.

Feyza Betül Köse, **Osmanlı Yönetiminde Kudüs**, Yüksek Lisans Tezi, Atatürk Ünivesitesi, Erzurum-2003.

٢- إشيق إشيل بوستانجي: **فلِسْطين في القرن ١٩** (وضعها الإداري والاقتصادي- الاجتماعي، رسالة دكتوراه، جامعةَ فرات، ٢٠٠٦م).

Işık Işıl Bostancı; **XIX.Yüzyılda Filistin** (İdari ve Sosyal-Ekonomik Vaziyet), Doktora Tezi, Fırat Üniversitesi-2006.

٣- نسرين كنار: **القضية الفِلِسْطينية في نظام ألطا بالشرق الأوسط**، (رسالة ماجستير)، جامعة أولو داغ، بورصةَ، ١٩٩٤م.

Nesrin Kenar, **Ortadoğu Alta Sisteminde Filistin Sorunu**, (YüksekLisan Tezi) Uludağ Üniversitesi, Bursa-1994.

٤- رياض ميشال: **التطور السكاني في الأردن وإسرائيل منذ النشأة، وحتى اليوم، وتحليله البنيوي** (رسالة ماجستير)، جامعة إسطنبول، إسطنبول، ١٩٩٧م.

Riyad Mishal, **Kuruluşundan Bugüne Ürdün ve İsrail'in Nüfusunun Gelişimi ve Yapısal Analizi**, Yüksek Lisans Tezi, İstanbul Ünivesitesi, İstanbul- 1997.

ج- الكتب والمقالات

١- علي أرسلان: **الهجرة اليهودية الثانية من أوروبا إلى تركيا**، دار نشر تروا، إسطنبول، ٢٠٠٦م.

Ali Arslan; **Avrupa'dan Türkiye'ye İkinci Yahudi Göçü,** Truva Yayınları, İST-2006.

obeikandl.com

٢- آمي سينغر: **البر في الدَّوْلة العثمانيّة**، عمارة حسكي سلطان بالقُدْس، إسطنبول، ٢٠٠٤م.

Amy Sınger, **Osmanlıda Hayırseverlik**, Kudüs'te Bir Haseki Sultan İmareti, TVYY., İstanbul-2004.

٣- **وثائق الأرشيف العثمانيّ التابع لرئاسة الوزراء**، رقم التسجيل بالمكتبة: ٤٢٧٠ (المزارات الخاصة بالمسيحيين في القدْس وتحقيقات اللجان الخاصة بالمعابد).

BOA. Kütüphane kayıt no: 4270 (Kudüs'te Hristiyanlara Ait Ziyaretgah ve Mabedlere Ait Komisyon Tahkikatı))

٤- جمال قونتاي: **التاريخ يتحدّث**، ج. ٦، العدد ٣٥، كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٦م.

Cemal Kutay; **Tarih Konuşuyor**, C.VI, Sayı 35, Aralık 1966.

٥- **تاريخ الإسلام منذ الظهور، وحتى اليوم**، دار نشر جاغ، إسطنبول، ١٩٨٦م.

Doğuştan Günümüze İslam Tarihi, C.II, C.IV, Çağ Yay., İstanbul-1986.

٦- درور زيعوي: **القُدْس**، دار نشر يورت، وَقْف التاريخ، إسطنبول ٢٠٠٠م.

Dror Ze'evi, **Kudüs**, Tarih Vakfı Yurt Yay. İstanbul-2000.

٧- كمال قاربات: **نظرة عامة على العلاقات العربية التركية**: ماضيًا، وحاضرًا، ومستقبلًا، بحوث المؤتمر العالمي الأول، ١٨-٢٢ تموز/يوليو ١٩٧٩م، جامعة حاجت تبه، أنقرة.

Kemal Karpat; "**Türk-Arap ilişkilerine Toplu Bir Bakış**" Türk-Arap ilişkileri: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte, 1. Uluslararası Konferansı Bildirileri, 18-22 Haziran 1979, Hacettepe Üniversitesi, Ankara.

٨- كريم بالجي: "**القُدْس: المدينة الباحثة عن أيامها السعيدة**"، مجلة فيزيون، آذار/مارس ٢٠٠٩م.

Kerim Balcı; " **Mutlu Günlerini Arayan Şehir: Kudüs**", Vizyon dergisi, Mart 2009.

٩- ميم كمال أوكه: **قضية فِلِسْطين من الصهيونية إلى صراع الحضارات**، مكتبة أُفُق، إسطنبول، ٢٠٠٢م.

Mim Kemal Öke; **Siyonizm'den Uygarlıklar Çatışmasına Filistin Sorunu**, Ufuk kitapları, İstanbul- 2002.

١٠- م. لطف الله قارامان: موسوعة وزارة الشؤون الدينية الإسلامية، **فِلِسْطين**، نشر وقف الشؤون الدينية.

M. Lutfullah Karaman, D.İ.B.İ.A. "**Filistin**", C. XIII, Diyanet Vakfı Yay.

١١- محمد تميرجي: **الآثار العثمانيّة في القُدْس**، مجلة كولتور، العدد: ١٥، إسطنبول، ٢٠٠٩م.

Muhammet Temirci, "**Kudüs'te Osmanlı İzleri**" Kültür Dergisi, Sayı: 15, İstanbul- 2009.

١٢- نبي بوزقورت: "**قُبّة الصخرة**"، موسوعة وزارة الشؤون الدينية الإسلامية، نشر وَقْف الشؤون الدينية.

Nebi Bozkurt, "**Kubbetü's- Sahrâ**", D.İ.B.İ.A, C. XXVI, Diyanet Vakfı Yay.

١٣- نبي بوزقورت: "**المسجد الأقصى**"، موسوعة وزارة الشؤون الدينية الإسلامية، نشر وقف الشؤون الدينية.

Nebi Bozkurt, "**Mescid-i Aksa**", D.İ.B.İ.A, C. XXIX, Diyanet Vakfı Yay.

١٤- عُمَر توران: **الشرق الأوسط نقطة صراع الحضارات**، نشر يني شفق.

Ömer Turan, **Medeniyetlerin Çatıştığı Nokta Ortadoğu**, Yeni Şafak Yay.

١٥- بارس توغلاجي: **القُدْس؛ المدن العثمانيّة**، إسطنبول، ١٩٨٥م.

Pars Tuğlacı, "**Kudüs" Osmanlı Şehirleri,** İstanbul-1985.

١٦- رمضان بالجي: **فِلِسْطين الجبهة التي هدمت الدَّوْلة العثمانيّة**، نشر نسِل، إسطنبول، ٢٠٠٦م.

Ramazan Balcı, **Osmanlı'yı Yıkan Cephe Filistin**, Nesil Yay, İstanbul-2006.

١٧- رمضان شَشَنْ: "**الأيوبيون**" تاريخ الإسلام العظيم من الميلاد حتى يومنا الحاضر.

Ramazan Şeşen, "**Eyyübiler**" Doğuştan Günümüze Büyük İslam Tarihi, c.VI.

١٨- ش. طوفان بوزبينار: **قضية الهجرة اليهودية إلى فِلِسْطين في عصر السلطان عبد الحميد الثاني** (١٨٧٨-١٩٠٨م)، موسوعة الأتراك.

Ş.Tufan Buzpınar; "**2. Abdülhamid Döneminde Filistin'e Yahudi Göçü Meselesi** (1878-1908)" Türkler, C.XIII, (s.78-85)

١٩- **جريدة مضبطة البرلمان التركي**، مطبعة البرلمان التركي، أنقرة ١٩٦٠م.

T.B.M.M. **Zabıt Ceridesi**, C. 26, T.B.M.M., Matbaası, Ankara.

obeikandl.com